## القصيدة ـ دون تعليق

*** قال شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)**

(وما اعتمدته منها نقلته من خط من يوثق به على ما كتبته / قاله بعد الانتهاء من القصيدة)

**ومن مشهور ما قيل في ذلك قول الأديب الشهير أبي البقاء صالح بن شريف الرندي رحمه الله تعالى** (نفح الطيب)

**ولله در الإمام العلامة خاتمة أدباء الأندلس، أبي الطيب صالح أبن شريف الزندي رحمه الله إذ قال يندب بلاد الأندلس، ويبعث العزائم ويحركها من أهل الإسلام لنصرة الدين، وانقاذ البلاد من يد الكافرين، ولسان الحال ينشده " لقد أسمعت لو ناديت حياً ".**

لِكُلِّ شَيءٍ إذا مَا تَمَّ نُقْصَانُ ... فلا يُغَرَّ بِطِيبِ العَيْشِ إنْسَانُ

هيَ الأمورُ كَما شَاهَدْتُها دُوَلٌ ... مَن سَرَّهُ زمنٌ ساءتْهُ أزْمانُ

وهذهِ الدَّارُ لا تُبقِي على أَحدٍ ... ولا يَدُومُ على حالٍ لها شانُ

(وعَالَمَ الكَوْنِ لا تَبقَى محاسِنُه ... ولا يَدُوْمُ على حالٍ لَهَا شَانُ) (ذكرها الخفاجي)

يُمَزِّقُ الدَّهرُ (مِنَّا) حتماً كلَّ سَابِغَةٍ ... إذا نَبَتْ مَشْرَفِيَّات وخُرْصانُ (ذكرها الخفاجي)

أينَ المُلُوكُ ذوو التِّيجانِ مِن يَمَنٍ ... وأينَ منهم أكاليلٌ وتِيجانُ

وأين ما شادَهُ شَدَّادُ من إرَمٍ ... وأين ما سَاسَهُ في الفُرْسِ سَاسَانُ

وأينَ ما حَازَهُ قَارُونُ مِن ذَهَبٍ ... وأينَ عادٌ وشدَّادٌ وقَحْطانُ

أتىَ على الكُلِّ أَمْرٌ لا مَردَّ لَهُ حتى قَضَوا فَكَأنَّ (الكلَّ) القومَ ما كانُوا (ذكرها الخفاجي)

وصَارَ مَا كَانَ مِن مُلْكٍ ومِن مَلِكٍ كَما حَكَى عن خَيَالِ الطَّيْفِ وَسْنانُ

دارَ الزَّمانُ على دَارَا وقَاتِلِهِ وأَمَّ كِسْرَى فما آواهُ إيوَانُ

كأنّما الصَّعْبُ لم يَسْهُلْ لَهُ سَبَبٌ يومًا (ولم يِمْلِكِ) ولا مَلَكَ الدُّنْيَا سُلَيْمانُ (ذكرها الخفاجي)

فَجائِعُ الدَّهرِ أنواعٌ مُنوَّعةٌ وللزَّمانِ مَسرَّاتٌ وأحْزانُ

ولِلْمَصَائِبِ (وللحوادِثِ) سُلْوانٌ يُهَوِّنُها (يُسَهِّلُها) (نفح الطيب)

وَما لِمَا حَلَّ بالإسلامِ سُلْوَانُ

دَهَى الجزيرةَ (خَطْبٌ) أمرٌ لا عَزَاءَ لهُ هَوىَ له أُحُدٌ وانْهَدَّ ثَهْلانُ (ذكرها الخفاجي)

أصابَهَا العَينُ في الإسْلامِ (فامْتُحِنَتْ) فارْتُزِئَت حتى خلَتْ مِنهُ أقْطارٌ وبُلْدانُ (نفح الطيب)

فَاسألْ بَلَنْسِيَةً ما شأْنُ مُرْسَيةٍ وأينَ شاطِبَةٌ أَمْ أَيْنَ جَيَّانُ

وأين قُرْطُبَةٌ دارُ العُلومِ فكم من عالِمٍ قد سما فيها لهُ شانُ

وأَيْنَ حِمْصٌ وما تَحويهِ مِن نُزَهٍ(تُرَهٍ) ونَهْرُها العَذْبُ فَيَّاضٌ وَمِلْآنُ (ذكرها الخفاجي)

(كذا طُلَيْطُلَةٌ دارُ العلوم فَكَمْ مِن فاضِلٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَه شَانُ) (ذكرها الخفاجي)

(وأين غَرْناطَةٌ دارُ الجهادِ وكَمْ أُسْدٍ بِها وهُم في الحَرْبِ عُقْبانُ) (ذكرها الخفاجي)

(وأين حَمْراؤُها العَلْيا وزُخْرُفُهَا كأنَّها من جِنانِ الخُلْدِ عَدْنانُ) (ذكرها الخفاجي)

قَوَاعِدٌ كُنَّ أرْكَانَ البِلادِ فَما عَسَى (البُكاءُ) البَقاءُ إذا لم تَبْقَ أَرْكَانُ (ذكرها الخفاجي)

(وَالماءُ يَجْرِي بِسَاحَاتِ القُصُورِ بِها قَدْ حَفَّ جَدوَلَهَا زَهْرٌ وَرَيْحَانُ)

(وَنَهْرُها العَذْبُ يَحْكِي في تَسَلْسُلِهِ سُيُوفَ هِنْدٍ لَها في الجوِّ لَمَعانُ)

(وأينْ جَامِعُهَا المشْهُوْرُ كَمْ تُلِيَتْ في كلِّ وقْتٍ بِهِ آيٌ وفُرْقانُ)

(وعَالِمٌ كانَ فِيها لِلْجَهُولِ هُدَى مُدَرِّسٌ ولَهُ في العِلْمِ تِبْيَانُ)

(وعابِدٌ خاضِعٌ للهِ مُبْتَهِلٌ والدَّمعُ مِنْهُ على الخَدَّينِ طُوفَانُ)

(وأينَ مَالَقَةٌ مَرْسَى المراكِبِ كمْ أرْسَتْ بِسَاحَتِهَا فُلْكٌ وغُرْبانُ)

(وكَم بِداخِلِهَا مِن شَاعِرٍ فَطِنٍ وذِي فُنُونٍ لَهُ حِذْقٌ وتِبْيانُ)

(وكَمْ بِخَارِجِها مِن مَنْزَهٍ فَرِجٍ وَجَنَّةٍ حَوْلَهَا نَهْرٌ وبُسْتَانُ)

(وأينَ جَارَتُها الزَّهْرَاء وقُبَّتُها وأينَ يا قَومُ أَبْطَالٌ وفُرْسَانُ)

(وأيْنَ بَسْطَةُ دَارُ الزَّعْفَرانِ فَهَلْ رَآى شَبِيْهَاً لَها في الحُسْنِ إنسَانُ)

(وكَمْ شُجَاعٍ زَعِيْمٍ في الوَغَى بَطَلٍ بدَا له في العِدى فَتْكٌ وإمْعانُ)

(كم جَنْدلتْ يدُهُ مِن كافرٍ فَغدا تبْكيهِ مِن أرْضِهِ أهلٌ وولدَانُ)

(ووَادياً مَن غدَتْ بِالكُفرِ عامِرَةً وَرَدَّ تَوْحِيْدَهَا شِرْكٌ وطُغْيَانُ) (ذكرها الخفاجي)

(كذا المَرِيَّةُ دَارُ الصَّالِحِينَ فَكَمْ قُطْبٍ بِهَا عَلَمٌ بَحْرٌ لهُ شَانُ) (ذكرها الخفاجي)

تَبْكِيْ الحَنيفِيّةُ البيضَاءُ مِن أَسَفٍ كما بَكَى لِفِرَاقِ الإلفِ هَيْمَانُ

على دِيارٍ مِن الإسلامِ خَالِيَةٍ قَدْ (أقْفَرَتْ) أسلمت ولهَا بالكُفْرِ عُمْرَانُ (نفح الطيب)

حَيْثُ المساجِدُ قَدْ أَمْسَتْ (صارت) كَنَائِسَ ما فيْهِنَّ إلا نَواقِيْسٌ وصُلْبَانُ (ذكرها الخفاجي)

حتى المَحَارِيبُ تَبْكِي وهيَ جامِدَةٌ حتَّى المَنَابِرُ تَرْثِي(تَبْكِي) وهي عِيدانُ (ذكرها الخفاجي)

يا غَافِلاً ولهُ في الدَّهْرِ موعِظَةٌ إنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فالدَّهْرُ يَقْظانُ

وماشِيَاً مَرِحَاً يُلْهِيهِ مَوْطِنُهُ أبَعْدَ حِمْصٍ تَغُرُّ المرْءَ أوْطانُ

تِلْكَ المُصِيبَةُ أنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا ومَا لَهَا مَعْ طُولِ (طَوِيلِ) الدَّهْرِ نِسْيَانُ (ذكرها الخفاجي)

يا أيُّها المَلِكُ البَيضَاءُ رايتُهُ أَدرِك بِسَيْفِكَ أهلَ الكُفْرِ لا كانوا

يا رَاكِبِيْنَ عِتَاقَ الخَيْلِ ضَامِرَةً كَأَنَّهَا في مَجَالِ السَّبْقِ عِقْبَانُ

وحَامِلِيْنَ سُيُوفَ الهِنْدِ مُرْهَفَةً كَأَنَّهَا في ظَلامِ (الليلِ) النَّقْعِ نِيْرَانُ (ذكرها الخفاجي)

ورَاتِعِينَ وَرَاءَ البَحْرِ في دَعَةٍ لَهُمْ بِأَوطَانِهِم عِزٌّ وسُلْطَانُ

أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِن (أمرِ) أهلِ أندَلُسٍ فَقَدْ سَرَى بِحَدِيْثِ القَوْمِ رُكْبَانُ (ذكرها الخفاجي)

كَم يَسْتَغِيْثُ بَنُو المُسْتَضعَفِينَ (صَنَادِيدُ الرِجَالِ) (بِنا المُسْتَضعَفُونَ) (ذكرها الخفاجي - نفح الطيب)

وهُمْ أسْرَى وقَتْلَى فما يَهْتَزُّ إنْسَانُ

ماذا التَّقاطُعُ في الإسلامِ بَيْنَكُمُ وأنتُمُ يا عِبَادَ اللهِ إخْوانُ

ألاَ نُفُوسٌ أبِيَّاتٌ لها هِمَمٌ أمَا عَلَى الخَيْرِ أنْصَارٌ وأَعْوَانُ

يا مَن لِذِلَّةِ قومٍ بَعْدَ عِزِّهِمُ أحالَ حالَهُمُ كُفرٌ وطُغْيَانُ

يَا مَن لِنُصْرَةِ قَوْمٍ قُسِّمُوا فِرَقَاً سَطَا عَلَيْهِم بِها كُفْرٌ وطُغْيَانُ (ذكرها الخفاجي)

بِالأمْسِ كَانُوا مُلُوكَاً في مَنَازِلِهِمْ واليومَ هُمْ في بِلادِ الكُفْرِ عُبْدَانُ

فَلَو تَرَاهُم حَيَارى لا دَلِيْلَ لَهُمْ عَلَيْهِمُ مِن ثِيَابِ الذُّلِّ أَلْوَانُ

ولو رَأَيْتَ بُكَاهُم عِنْدَ بَيْعِهِمُ لهَالَكَ الأَمْرُ واسْتَهْوتْكَ أحْزَانُ

يا رُبَّ أُمٍّ وطِفْلٍ حِيلَ بَينَهُمَا كَمَا تفَرَّقُ أرْوَاحٌ وَأَبْدَانُ

وطِفلَةٍ ما رأتْها الشَّمْسُ إذ بَرَزَتْ كأنَّهَا هيَ ياقُوتٌ ومَرْجَانُ

وطِفلَةٍ مِثلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إذ طَلَعَتْ (نفح الطيب)

وغَادَةٍ ما رأتْها الشَّمْسُ بارِزَةً كأنَّمَا هيَ ياقُوتٌ ومَرْجَانُ (ذكرها الخفاجي)

يقُودُهَا العِلْجُ لِلمَكْرُوهِ مُكْرَهَةً والعَيْنُ بَاكِيَةٌ والقَلْبُ حَيْرَانُ

يقُودُهَا عِلْجٌ عِنْدَ السَّبْيِ صَاغِرَةً والعَيْنُ بَاكِيَةٌ والقَلْبُ حَيْرَانُ (ذكرها الخفاجي)

لِمثْلِ هَذَا يَذُوْبُ القَلْبُ مِن كَمَدٍ إنْ كَانَ في الْقَلْبِ إسْلاَمٌ وإيمَانُ

*

هَلْ لِلجِهَادِ بها مِن طَالِبٍ فَلَقَدْ تَزَخْرَفَتْ جَنَّةُ الْمأْوَى لَها شَانُ (ذكرها الخفاجي)

وأشْرَفَ الحُورُ والوِلدَانُ مِن غُرَفٍ فازَتْ لعَمْرِى بِهذا الخيْرِ شُجْعَانُ (ذكرها الخفاجي)

ثم الصَّلاةُ على المُختارِ مِن مُضَرٍ مَا هَبَّ رِيحُ الصَّبَا واهْتَزَّ أغْصَانُ (ذكرها الخفاجي)

هـل يُعرَّى امـرؤٌ من الحسـدِ المَحْـ ـضِ على نيـلِ أفضـلِ الأقسـام
أنـا مـن حـاسـديـه لكـنـنـي لسـ ـتُ بـبـاغ نُـعـمـاه غـيـرَ الـدَّوام
حـسـدي أنَّـنـي أريـدُ لـنـفـسـي بـعض أخـلاقـه بـغـيـر اكـتـتـام
وإذا حـاسـدٌ صـفـا مـن غـلـيـل فـهْـوَ في وزْن عـاشـق مُسْـتـهـامِ
لستَ تَـدْرِي نـشـاه أحـلى مـذاقـا أم سـمـاعـاً مـن ألـسُـنِ الأقـوام[1]
رُبَّ نُـعـمَـى لـه عـليَّ ونُـعـمَـى وأيـادٍ لـه لـديَّ جِـسـام
حطَّ ثِـقـلَ الـخـرجِ عـنِّي وقـد كـا ن كـأركـانِ يَـذْبُـلٍ وشـمـام
وأرانـي الـضِّـيـاعَ مـالا وقـد كـنـ ـتُ أرى ملكَـهـا كـبعضِ الـغـرام
كـفَّ مـن سـورة ابـن بـسـطامَ عـنِّي وهْـي مـشـبـوبـةٌ كـحـرِّ الـضَّـرام
وأراهُ بـنـورهِ حَـقَّ مِـثْـلي وهْـو مُـذْ كـان مـوقِظُ الأفـهـام
فـقـضـى حـاجـتي وكـان كسَـيْـفٍ هُـزَّ فـاهـتَـزَّ وهْـوَ غـيْـرُ كَـهـام[2]
هـزَّهُ مـاجـدٌ يـنـاصـح في الـهـزْ زِ هُـمَـامٌ مُـتَـوَّجٌ لـهُـمـام
ومُـحـالٌ ألاَّ يـقـومَ بـمـا قـلْـ ـدَهُ الأولـيـاءُ كُـلَّ الـقِـيـامِ
وهْـو مـمَّـنْ تـقـدَّمَ الـنـاسَ كـالـرَّأ سِ ومـمـن عـلاهُـمُ كـالـسـنـام
فـجـزاهُ الإلـهُ عـنِّـي خُـلـوداً ونـعـيـمـاً في ظِـلِّ دار الـسـلام
بعـدمـا يـعـم الـبـقـاء بـه الـدنْـ ـيـا صـحـيـحـا ممـتَّـعـاً ألـفَ عـامِ

## أي نوم

**وقال يرثي أهل البصرة ويذكر ما نالهم من الورَّزْنيني صاحب الزَّنج[3]:**

[الخفيف]

ذادَ عـن مُـقْـلِتي لـذيـذَ الـمـنـامِ شُغلها عنهُ بـالـدمـوعِ السجامِ[4]
أيُّ نـومٍ من بعـد مـا حـل بـالبصْـ ـرَةِ من تلكمُ الهنـاتِ العـظام؟[5]
أيُّ نـومٍ من بعـد مـا انتهـك الـزَّنْـ ـجُ جـهـارا مـحـارم الإسـلام؟
إنَّ هـذا مـن الأمـورِ لأمْـرٌ كـاد أن لا يـقـومَ فـي الأوهـام
لـرأيـنـا مُـسْـتَـيْـقـظيـن أمـوراً حـسـبُـنـا أن تـكـونَ رُؤيـا مـنـام
أقـدم الـخـائـنُ الـلعـيـنُ عـليـهـا وعـلى الله أيَّـمـا إقـدام

---

(١) النثا: النشر.
(٢) كهام: ضعيف كليل.
(٣) صاحب الزنج: تقدمت ترجمته: (٥/٧٣).
(٤) الدموع السجام: المنصبة.
(٥) الهنات: الداهية.

وتسمَّى بغير حقٍّ إماماً ... لا هدى اللَّهُ سعيه من إمام
لهفَ نفسي عليكِ أيَّتُها البصـ ... ـرةُ لهفاً كمثلِ لهْبِ الضِّرام
لهف نفسي عليك يا معدن الخيـ ... ـرات لهْفاً يُعضُّني إبهامي
لهف نفسي يا قُبَّةَ الإسـ ... ـلام لهفاً يطولُ منه غرامي
لهف نفسي عليكِ يا فُرضةَ البلـ ... ـدانِ لهفاً يبْقى على الأعوام[1]
لهف نفسي لجمعكِ المتفاني ... لهف نفسي لِعِزكِ المُستضام
بينما أهلُها بأحسنِ حالٍ ... إذ رماهمْ عبيدُهمْ باصطلامِ
دخلوها كأنهم قِطعُ اللَّيـ ... ـلِ إذا راحَ مُدْلَهِمَّ الظلام
طلعُوا بالمُهَنَّداتِ جِهْراً فألقتْ ... حملها الحاملات قبل التمَّام[2]
وحقيقٌ بأن يُراع أناسٌ ... غومضوا من عدوهم باقتحام
أيَّ هَوْل رأوْا بهمْ أيّ هَوْلٍ ... حُقَّ منه تشيبُ رأسُ الغلام
إذ رموْهُمْ بنارهم من يمينٍ ... وشِمال وخلفِهمْ وأمام
كم أغصُّوا من شاربٍ بشراب ... كم أغصُّوا من طاعمٍ بطعام؟
كم ضنينٍ بنفسهِ رامَ مَنْجًى ... فتلقّوا جبينه بالحسام؟
كم أخٍ قد رأى أخاهُ صريعاً ... تِربَ الخَدِّ بينَ صَرْعى كرامِ؟[3]
كم أبٍ قد رأى عزيزَ بنيه ... وهْوَ يُعلَى بصارمٍ صمصام؟
كم مُفدًّى في أهلهِ أسْلمُوه ... حين لم يحْمِه هنالك حامي؟
كم رضيع هناكَ قد فطموه ... بشبا السيف قبل حينِ الفطام؟[4]
كم فتاةٍ بخاتِم الله بِكر ... فضحوها جَهْرا بغير اكتتام؟
كم فتاةٍ مصونة قد سبوْها ... بارزاً وجهها بغير لثام؟
صبحوهُمْ فكابدَ القومُ منهم ... طولَ يومٍ كأنه ألفُ عامِ
ألفُ ألفٍ في ساعةٍ قتلوهُمْ ... ثم ساقوا السِّباءَ كالأغنام[5]
من رآهُنَّ في المساقِ سبايا ... داميات الوجوهِ للأقدام
من رآهنَّ في المقاسم وسْطَ الزْ ... ـنج يُقَسَّمْنَ بينهمُ بالسِّهام
من رآهُنَّ يتّخذن إماءً ... بعد مِلْكِ الإماء والخُدَّام

(١) الفرضة: الثلمة يستقى منها.
(٢) المهندات: السيوف.
(٣) ترب الخد: تمرغ خده بالتراب.
(٤) شبا السيف: حده
(٥) السباء: الأسرى.

ما تذكرتُ ما أتى الزنج إلاَّ ... أُضرم القلب أيّما إضرام
ما تذكرتُ ما أتى الزنج إلاَّ ... أوجعْتَني مرارةُ الإرغام
رُبَّ بيعٍ هناك قد أرخصُوهُ ... طال ما قدْ غلا على السُّوَّام[1]
رُبَّ بيتٍ هناك قد أخرجُوهُ ... كان مأوى الضِّعافِ والأيتام
رُبَّ قصْرٍ هناك قدْ دخلوه ... كان من قبلِ ذاك صَعْبَ المرام
رُبَّ ذي نعمةٍ هناك ومالٍ ... تركوهُ مُحالفَ الإعدام
رب قوم باتوا بأجمعِ شَمْلٍ ... تركوا شملَهُمْ بغير نظام
عرِّجا صاحبيَّ بالبصرةِ الزَّهْـ ... ـراء تعريج مُدنف ذي سقام[2]
فاسْألاها ولا جوابَ لديها ... لسؤال ومن لها بالكلام
أين ضوضاءُ ذلك الخلقِ فيها ... أين أسواقُها ذواتُ الرِّخام؟
أين فُلْكٌ فيها وفُلْكٌ إليها ... مُنشآتٌ في البحر كالأعلام؟
أين تلك القصورُ والدورُ فيها ... أين ذاكَ البنيانُ ذو الإحكام؟
بدِّلتْ تِلكُمُ القصورِ تِلالا ... من رمادٍ ومن تُراب رُكامِ
سُلِّطَ البَثْقُ والحريقُ عليهم ... فتداعت أركانُها بانهدامِ[3]
وخلتْ من حُلولها فهْي قَفْرٌ ... لا ترى العين بين تلك الأكام
غيرَ أيْدٍ وأرْجُلٍ بائناتٍ ... نُبذَتْ بينهنَّ أفلاقُ هام[4]
ووجوهٍ قد رمَّلتْها دماءٌ ... بأبي تلكمُ الوجوه الدوامي
وُطِئَتْ بالهوانِ والذُّلِّ قسراً ... بعد طولِ التبجيلِ والإعظام
فتراها تَسْفي الرياحُ عليها ... جارياتٍ بهبوة وقتام

**ويروي: قد علتها بهبوة وقتام. والهبوة: الغبرة، قال رسولِ الله ﷺ: «فإن حالت بينكم وبينه هبوة فأتموه ثلاثين».**

خاشعاتٍ كأنها باكيات ... باديات الثغور لا لابتسام
بل ألِمَّا بساحةِ المسجدِ الجا ... مع إنْ كُنْتُما ذَوِي إلمام
فاسألاهُ ولا جوابَ لديهِ ... أينَ عُمَّاره الأُلى عمَّروهُ
أينَ عُمَّاره الأُلى عمَّروهُ ... دَهْرهُمْ في تلاوة وصيام؟

---

(١) السوام: الراغبون بالشراء.
(٢) المدنف: المريض.
(٣) البثق: الماء المندفع.
(٤) الهام: جمع الهامة: القامة أو الرأس.

ويموت ابو اسحاق ابراهيم بن حسن المعافري ، وكان عالما جليلا • مشى في جنازته المعز بن باديس في جمع عظيم • فيرثيه ابن رشيق :

يا للرزيـــة في ابي اسحـــاق ذهب الحمام بأنفس الاعـــلاق
ذهب الحمـــام بخاشع متبتـــل تبكي العيون عليه باستحقـــاق
ذهب الحمـــام ببدر ثم لـم يدع منه الـــردى الا هلال محـــاق
وحوت جنوب اللحد بحرا زاخـرا ترك البحار الخضر وهي ســواق
فاليوم اغلـــق كل فهم بابـــه لما فقدنـــا فاتـــح الاغـــلاق
ما القيـــروان أذقت ثكلك وحدهـــــا قد ذاق ثكلك سائر الآفاق

والمرثيتان تطلعاننا على مهارته في هذا اللون من الشعر • فذكر كلا من الرجلين بما كان له من الصفات التي تلائم منزلته ومكانته وحياته •

تفاقم الامر بين المعز بن باديس وبين هلال وسليم فأشعـل هؤلاء الاعراب نار الحرب وحاصروا القيروان وخربوها وألجأوا صاحبها الـى هجرها الى المهدية • فتشتتت مجامع العلم والادب ، وتفرق العلماء والادباء أيدي سبأ وقد حفرت النكبة في قلوبهم آثارا لا تمحى • فراحوا يندبـون عاصمتهم في قصائد خلدها التاريخ •

ها هو ابن رشيق يصف ما كانت عليه القيروان في ايام عزها مـن اطمئنان وأمان ومن رغد العيش ثم ما صارت اليه من خوف وذعر وهوان ، ويذكر كيف ألم لهذه النكبة جميع الاقطار الاسلامية من الخليج الـى الاندلس فيقول الشاعر :

كم كان فيها مـــن كرام ســـادة بيض الوجوه شوامـــخ الايمـان
متعاونين على الديانة والتقـــى للـــه في الاسرار والاعـــلان
ومهـــذب جم الفضائل بـــاذل لنوالـــه ولعرضه صـــوان
وأئمة جمعوا العلـــوم وهذبوا سنن الحديث ومشكل القـــرآن
علماء ان ساءلتهم كشفوا العمـــى بفقاهـــة وفصاحة وبيـــان
كانـــت تعد القيـــروان بهم اذا عد المنابر زهـــرة البلـــدان
وزهت على مصر وحق لهـــا كمـــا تزهو بهم ، وغدت على بغـــدان
حسنت فلما اذ تكامـــل حسنها وسما اليهـــا كل طـــرف ران
وتجمعت فيها الفضائل كلهـــا وغدت محـل الامن والايمـــان

نظرت لها الايـــام نظرة كاشـــح ترنو بنظرة كاشـــح معيـــان
حتى اذا الاقدار حـــم وقوعهـا ودنـــا القضـــاء لمـدة وأوان
أهـــدت لها فتنا كليل مظلـــم وأرادها كالناطـــح العيـــدان
بمصائـب من دفاع وأشالـــب ممن تجمع من بنـــي دهمـــان
فتكوا بأمة أحمـــد أتراهـــم أمنوا عقاب الله في رمضـــان
نقضوا العهود والمبرمات واخفروا ذمم الاله ولـــم يفوا بضمان
فاستحسنوا غدر الجوار وآثـروا سبي الحريم وكشفـــة النسوان
ساموهم سوء العـــذاب واظهروا متعسفين كوامـــن الاضغـــان
والمسلمـــون مقسمون تنالهـــم أيدي العصاة بذلـــة وهـــوان
ما بيـــن مضطر وبين معـــذب ومقتل ظلمـــا وآخر عـــان
يستصرخون فلا يغاث صريخهـــم حتى اذا سئموا مـــن الارنـــان
خرجوا حفـاة عائذين بربهـــم من خوفهم ومصائـب الالـــوان
هربـــوا بكل فطيمة ووليـــدة وبكل أرملة وكـــل حصـــان
والمسجد المعمـور جامع عقبـــة خرب المعاطـــن مظلم الاركـــان
قفر فما تغشاه بعـــد جماعـــة لصـــلاة خمـــس لا ولا لأذان
اعظم بتلـك مصيبة ما تنجلـــي حسراتها أو ينقضي الملـــوان
حزنت لهـا كور العراق بأسرهـــا وقرى الشام ومصر والخرســـان
وتزعزعـــت لمصابها وتنكـــدت أسفا بلاد الهنـــد والسنـــدان
وعفا من الاقطـــار بعد خلائها ما بين اندلس الـــى حلـــوان
وأرى النجوم طلعن غير زواهـــر في افقهن وأظلـــم القمـــران
وأرى الجبال الشم أمست خشعـا لمصابهـــا وتزعزع الثقـــلان
والارض من وله بها قد اصبحـت بعد القرار شديـــدة الميـــلان
أترى الليالي بعدما صنعت بنـــا تقضي لنـــا بتواصل وتـــدان
وتعيد ارض القيروان كعهدهـــا فيما مضى من سالـــف الازمـان
امست وقد لعب الزمـــان بأهلها وتقطعت بهم عـــرى الاقـــران
فتفرقوا أيدي سبا وتشتتـــوا بعد اجتماعهـــم على الاوطـــان

قصيدة رائعة تدل على طول نفس الشاعر وقدرته على تصويـــر احساساته لهذه النكبة وحسراته على هذه العاصمة التي كانت تنافس بغداد وقرطبة عزة وازدهارا • فأصبحت عرضة للظلم والفساد والهوان • وقد